الحلقة (٤)

من أحداث السنة الرابعة من الهجرة

إعداد: د. سيد عبد العال

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق، وخاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد: فما زلنا في أحداث السنة الرابعة من هجرة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، وقد سبق لنا ذكر بعض أحداث هذه السنة، ونذكر في هذا العدد شيئًا من أحداثها أيضًا.

الحدث الأول: وفاة عبد الله بن عثمان:

ففي جُمَادَى الْأُولَى مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ مَاتَ سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم عَبْدُاللَّهِ بْنُ عُثْمَانَ بن عَفَّان رضى الله عَنهُ، يَعْنِي مِنْ رُقَيَّةَ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ ابْنُ ستّ سنين، فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَنَزَلَ فِي حُفْرَتِهِ وَالِدُهُ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. السيرة النبوية لابن كثير (٣/ ١٧٢).

قال ابن كثير: تَزَوَّجَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رُقَيَّةَ، وَهَاجَرَتْ مَعَهُ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهَا؛ ثُمَّ رَجَعَا إِلَى مَكَّةَ، كَمَا قَدَّمْنَا، وَهَاجَرَا إِلَى الْمَدِينَةِ وَوَلَدَتْ

Upload by : altawhedmag.com

لَهُ ابْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ فَبَلَغَ ستَّ سنين، فَنَقَرَهُ ديكٌ في عَيْنَيْه فمات، وبه كان يُكنَّى أوَّلًا، ثُمَّ اكْتَنَى بابْنه عَمْرو. السيرة النبوية لابن كثير (٤/ ٦١٠).

وهذا الحديث يتضمن فضيلةً وأجرًا عظيمًا لعثمان ولرقية رضي الله عنهما؛ لأنهم ابتُلوا بفَقْد الولد؛ وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّم: "إنَّ مِنْ أشدِّ النَّاس بَلاءً الأنْبياءَ، ثُمَّ الَّذينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذينَ يَلُونَهُمْ" مسند أحمد (٢٧٠٧٩).

وقال سَعْد بن أبي وقاص: يا رَسُولَ اللَّه، أيُّ النَّاس أشدُّ بَلاءً؟ قال: "الأنْبياءُ، ثُمَّ الصَّالحُونَ، ثُمَّ الأمْثَلُ فالأمْثَلُ منَ النَّاس، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَب دينه؛ فإنْ كانَ في دينه صَلابَةٌ زيدَ في بَلائه، وإنْ كانَ في دينه رقَّةٌ خُفِّفَ عَنْهُ، وَمَا يَزَالُ الْبَلاءُ بالْعَبْد حَتَّى يَمْشيَ عَلَى ظَهْرِ الأرْضِ لَيْسَ عَلَيْه خَطيئَةٌ". مسند أحمد (١٤٨١) وإسناده صحيح.

الحدث الثاني: وفاة أبي سلمة رضي الله عنه.

ففي شعبان من هذا السنة تُوُفِّيَ أبو سَلَمَةَ رضي الله عنه.

وأبو سلمة هو عَبْدُ اللَّه بْنُ عَبْد الأسَد بْن هلال بْن عَبْد اللَّه بْن عُمَرَ بْن مَخْزُوم القُرَشيُّ المَخْزُوميُّ.

قرابته من النبي صلى الله عليه وسلم:

لقد كان أبو سلمة رضي الله عنه قريبًا من النبي صلى الله عليه وسلم من جهتين

الأولى: أن أُمَهُ هي بَرَّةُ بِنْتُ عَبْد الْمُطَّلب عَمَّةُ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ؛ فهو ابن عمة النبي صلى الله عليه وسلم.

الثانية: كَانَ رَضيعَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ ارْتَضَعَا منْ ثُوَيْبَةَ مَوْلاة أبي لهب.

فعن عُرْوَةَ بْن الزُّبَيْر: أنَّ زَيْنَبَ بنْتَ أبي سَلَمَةَ، أخْبَرَتْهُ: أنَّ أمَّ حَبيبَةَ بنْتَ أبي سُفْيَانَ، أخْبَرَتْهَا: أنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّه، انْكحْ أخْتي بنْتَ أبي سُفْيَانَ، فَقَالَ: "أوَتُحبِّينَ ذَلكَ"، فَقُلْتُ: نَعَمْ، لَسْتُ لَكَ بمُخْليَة، وَأحبُّ مَنْ شَارَكَني في خَيْر أخْتي، فَقَالَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم: "إنَّ ذَلكَ لا يَحلُّ لي". قُلْتُ: فَإنَّا نُحدَّثُ أنَّكَ تُريدُ أنْ تَنْكحَ بنْتَ أبي سَلَمَةَ؟ قَالَ: "بنْتَ أمِّ سَلَمَةَ"، قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: "لَوْ أنَّهَا لَمْ تَكُنْ رَبيبَتي في حَجْري مَا حَلَّتْ لي، إنَّهَا لابْنَةُ أخي منَ الرَّضَاعَة، أرْضَعَتْني وَأبَا سَلَمَةَ ثُوَيْبَةُ، فَلا تَعْرضْنَ عَلَيَّ بَنَاتكُنَّ وَلا أخَوَاتكُنَّ" رواه البخاري (٥١٠١)، ومسلم (١٤٤٩).

وفيه من الفوائد: أهمية معرفة المحرمات من الرضاع حتى لا يقع الزواج من المحارم، وهي مهمة الآباء والأمهات، والأبناء فيما بعد ذلك؛ فهو باب من المعرفة لا بد منه لكل مسلم.

وفيه: أن الأخبار أحيانًا قد تظهر وليس لها أساس ولا أصل، بل هي إشاعات فإن هذا لم يحصل ومع ذلك بلغها، وقد تكون هذه الإشاعة حصلت من المنافقين. شرح سنن أبي داود للعباد (٥/ ٢٣٧).

إسلام أبي سلمة: وَقد كَانَ إسْلامُ أبي سَلَمَةَ، وَأبي عُبَيْدَةَ، وَعُثْمَانَ بْن عفَّان، وَالأرْقَم بْن أبي الأرْقَم قَديمًا في يَوْم وَاحد؛ وقال ابن إسحاق: أسلم بعد عشرة أنفس فكان الحادي عشر، واستخلفه النبي صلى الله عليه وسلم حين خرج إلى غزوة العشيرة وكانت في السنة الثانية. إكمال تهذيب الكمال (٨/ ٢٣).

هجرته: وَقَدْ هَاجَرَ هُوَ وَزَوْجَتُهُ أُمُّ سَلَمَةَ إلَى أرْض الْحَبَشَة، ثُمَّ عَادَ إلَى مَكَّةَ، وَقَدْ وُلدَ لَهُمَا بالْحَبَشَة أوْلادٌ؛ ثُمَّ هَاجَرَ منْ مَكَّةَ إلَى الْمَدينَة،

Upload by : altawhedmag.com

وتبعته أم سلمة إلى المدينة.

وهنا تجذب الذاكرة إلى الوراء عدة أعوام لتطل إطلالة خفيفة على هذا الحديث العجيب؛ قال ابن كثير: فكان أول من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين من قريش من بني مخزوم، أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وكانت هجرته إليها قبل بيعة العقبة بسنة، حين آذته قريش مرجعه من الحبشة، فعزم على الرجوع إليها، ثم بلغه أن بالمدينة لهم إخوانا فعزم إليها.

قال ابن إسحاق: فحدثني أبي، عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة، عن جدته أم سلمة قالت: لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحل لي بعيره ثم حملني عليه، وجعل معي ابني سلمة بن أبي سلمة في حجري، ثم خرج يقود بي بعيره؛ فلما رآته رجال بني المغيرة قاموا إليه فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها، أرأيت صاحبتنا هذه علام نتركك تسير بها في البلاد؟ قالت: فنزعوا خطام البعير من يده وأخذوني منه.

قالت: وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد رهط أبي سلمة، وقالوا: والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا.

قالت: فتجاذبوا ابني سلمة بينهم حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد، وحبسني بنو المغيرة عندهم، وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة؛ قالت: ففرق بيني، وبين ابني وبين زوجي، قالت: فكنت أخرج كل غداة فأجلس في الأبطح، فما أزال أبكي حتى أمسي، سنة أو قريبا منها. حتى مر بي رجل من بني عمي أحد بني المغيرة، فرأى ما بي فرحمني، فقال لبني المغيرة: ألا تحرجون من هذه المسكينة؟ فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها؟!

قالت: فقالوا لي: الحقي بزوجك إن شئت.

قالت: فرد بنو عبد الأسد إلي عند ذلك ابني، قالت: فارتحلت بعيري، ثم أخذت ابني فوضعته في حجري، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة.

قالت: وما معي أحد من خلق الله.

حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة ابن أبي طلحة أخا بني عبد الدار؛ فقال: إلى أين يا ابنة أبي أمية؟ قلت: أريد زوجي بالمدينة.

قال: أو ما معك أحد؟ قلت: ما معي أحد إلا الله وبني هذا.

فقال: والله ما لك من متترك.

فأخذ بخطام البعير فانطلق معي يهوي بي، فو الله ما صحبت رجلا من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي، ثم استأخر عني حتى إذا نزلت استأخر ببعيري فحط عنه ثم قيده في الشجر، ثم تنحى إلى شجرة فاضطجع تحتها.

فإذا دنا الرواح قام إلى بعيري فقدمه فرحله، ثم استأخر عني وقال: اركبي.

فإذا ركبت فاستويت على بعيري أتى فأخذ بخطامه فقادني حتى ينزل بي.

فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة، فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء قال: زوجك في هذه القرية، وكان أبو سلمة بها نازلا، فادخليها على بركة الله.

ثم انصرف راجعا إلى مكة.

فكانت تقول: ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة، وما رأيت صاحبا قط كان أكرم من عثمان بن طلحة.

- وشهد بدرا وأحدا، ومات من آثار جرح جرحه بأحد. رضي الله عنه وأرضاه.

Upload by : altawhedmag.com

- لَهُ حديثٌ واحدٌ في الاسْتِرْجاعِ عِنْدَ المُصيبَةِ. السيرة النبوية لابن كثير (٣/ ١٧٣).

وهو حديث عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أُمِّهِ أُمِّ سَلَمَةَ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِذَا أَصَابَتْ أَحَدَكُمْ مُصِيبَةٌ فَلْيَقُلْ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. اللَّهُمَّ عِنْدَكَ أَحْتَسِبُ مُصِيبَتِي؛ فَأْجُرْنِي فِيهَا، وَأَبْدِلْنِي مِنْهَا خَيْرًا، فَلَمَّا احْتُضِرَ أَبُو سَلَمَةَ قَالَ: اللَّهُمَّ اخْلُفْ فِي أَهْلِي خَيْرًا مِنِّي؛ فَلَمَّا قُبِضَ قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ؛ عِنْدَ اللَّهِ أَحْتَسِبُ مُصِيبَتِي فَأْجُرْنِي فِيهَا. أخرجه الترمذي (٣٥١١)، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ مِنْ هَذَا الوَجْه، وَرُوِيَ هَذَا الحَدِيثُ من غير هذا الوجه عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَبُو سَلَمَةَ اسْمُهُ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الأَسَدِ.

الحدث الثالث: ولادة الحسين بن علي رضي الله عنهما

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَفِي لَيَالٍ خَلَوْنَ مِنْ شَعْبَانَ مِنْهَا وُلِدَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ مِنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وعَنْ هَانِئِ بْنِ هَانِئٍ، عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: لَمَّا وُلِدَ الْحَسَنُ سَمَّيْتُهُ حَرْبًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: "أَرُونِي ابْنِي، مَا سَمَّيْتُمُوهُ؟" قَالَ: قُلْتُ: حَرْبًا. قَالَ: "بَلْ هُوَ حَسَنٌ". فَلَمَّا وُلِدَ الْحُسَيْنُ سَمَّيْتُهُ حَرْبًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: "أَرُونِي ابْنِي، مَا سَمَّيْتُمُوهُ؟" قَالَ: قُلْتُ حَرْبًا. قَالَ: "بَلْ هُوَ حُسَيْنٌ"؛ فَلَمَّا وُلِدَ الثَّالِثُ سَمَّيْتُهُ حَرْبًا، فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: "أَرُونِي ابْنِي، مَا سَمَّيْتُمُوهُ؟" قُلْتُ: حَرْبًا. قَالَ: "بَلْ هُوَ مُحَسِّنٌ" مسند أحمد (٧٦٩) وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

وقد سبق ذكر فضائله في مولد أخيه الحسن رضي الله عنه.

الحدث الرابع: زواج النبي صلى الله عليه وسلم بزينب بنت خزيمة رضي الله عنها

قَالَ: وَفِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْنَبَ بِنْتَ خُزَيْمَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ هِلَالِ بْنِ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ، الْهِلَالِيَّةَ.

وَهِيَ الَّتِي يُقَالُ لَهَا "أُمُّ الْمَسَاكِينِ"؛ لِكَثْرَةِ صَدَقَاتِهَا عَلَيْهِمْ وَبِرِّهَا لَهُمْ وَإِحْسَانِهَا إِلَيْهِمْ.

وَأَصْدَقَهَا ثِنْتَيْ عَشْرَةَ أُوقِيَّةً وَنَشًّا، وَدَخَلَ بِهَا فِي رَمَضَانَ، وَكَانَتْ قَبْلَهُ عِنْدَ الطُّفَيْلِ بْنِ الْحَارِثِ فَطَلَّقَهَا.

قَالَ أَبُو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجُرْجَانِيِّ: ثُمَّ خَلَفَ عَلَيْهَا أَخُوهُ عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ.

قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي الْغَابَةِ: وَقِيلَ كَانَتْ تَحْتَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ فَقُتِلَ عَنْهَا يَوْمَ أُحُدٍ.

قَالَ أَبُو عُمَرَ: وَلَا خِلَافَ أَنَّهَا مَاتَتْ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقِيلَ: لَمْ تَلْبَثْ عِنْدَهُ إِلَّا شَهْرَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً حَتَّى تُوُفِّيَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّ سَلَمَةَ بِنْتَ أَبِي أُمَيَّةَ. السيرة النبوية لابن كثير (٣/ ١٧٤-١٧٧).

وهذا هو ما نذكره بشيء من التفصيل في العدد القادم بإذن الله تبارك وتعالى، وصلِّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com